Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 50, No. 3, 2023

Deanship of Scientific Research

Textual Coherence in the Arabic Oration Heritage: The Al-Hajjaj Oration as a Model

Marwa Khalil Al-Mashni*

Arabic Language Advisor at the Ministry of Education, Jerusalem, Palestine.

Received: 4/8/2021
Revised: 14/12/2021
Accepted: 6/3/2022
Published: 30/5/2023

* *Corresponding author:*
marwamashni@gmail.com

Citation: Al-Mashni, M. K. (2023). Textual Coherence in the Arabic Oration Heritage: The Al-Hajjaj Oration as a Model. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *50*(3), 363–376. https://doi.org/10.35516/hum.v50i3.5418

Abstract

O**bjectives**: The objective of this research is to emphasize the importance of textual coherence, which encompasses consistency, a strong plot, and effective message delivery to the receiver.

Methods: The researcher initially faced a dilemma in choosing between a quantitative and qualitative approach. Consequently, this paper adopts a qualitative approach first, followed by the application of a quantitative approach to examine a specific standard of textual coherence.

Results: The analysis of textual standards elucidated both direct and indirect meanings in the text, highlighted the significance of textual harmony and contextual interpretation, and shed light on the role of the overall discourse structure in revealing the semantics of the text, including its major and minor textual elements.

Conclusions :This research comprises eight integral parts. The introduction provides an overview of textual coherence. The second part focuses on observing the coherence standard in the Arab heritage, specifically by analyzing the Al-Hajjaj oration and its contextual characteristics. The third part examines the overall structure and theme of the oration, followed by the fourth part, which explores the major textual structure. The fifth part discusses the organization of the oration, while the sixth part delves into the minor textual structure. The seventh part highlights significant relationships within the oration, and the final part presents conclusions, results, and recommendations pertaining to the topics discussed above.

Keywords: Textual coherence, oration, textual structure, significant correlations.

الانسجام النصيّ في الخطبة العربية التراثية: خطبة الحجاج أنموذجًا

مروة خليل المشني*

مرشدة اللغة العربية في وزارة التربية والتعليم، القدس، فلسطين.

ملخّص

الأهداف: يهدف البحث إلى الوقوف عند معيار الانسجام النصي المؤذن بالإبانة عن تماسك النص وقوة حبكة المتكلم ونجاحه في إيصال رسالته للمتلقي.

المنهجية: ترددت الباحثة في هذه الورقة بين المنهجين الوصفي والتحليلي؛ إذ تبدأ الباحثة بالوصف، ومن ثَمَّ تعرج على منهج تحليلي قائم على استشراف أحد معايير النصية فيه.

النتائج: معايير النصية توضح المعاني المباشرة وغير المباشرة في النص، ووسائل الانسجام النصي توضح أهمية السياق في تحديد التأويلات، والوصول إلى الهدف من النص كما يريده الكاتب، ووضحت هذه الوسائل الدور الذي أدته البنية الكلية للخطاب في الكشف عن دلالات النص، ومعها البنية النصية الكبرى والصغرى.

الخلاصة: يقف البحث بين ثمانية أقطاب مؤسسة، أما أولها فمهاد وتأسيس عن الانسجام النصي، وثانيها استشراف معيار الانسجام في التراث العربي بالفيء إلى خطبة الحجاج من خلال التطرق إلى السياق وخصائصه، وثالثها البنية الكلية (موضوع الخطاب)، ورابعها البنى النصية الكبرى، وخامسها ترتيب الخطاب، وسادسها التعريج على البنى النصية الصغرى، وسابعها الوقوف على العلاقات الدلالية الواردة في خطبة الحجاج، وثامنها خاتمة تشتمل على نتائج وتوصيات بناء على ما تقدمها من حديث.

الكلمات الدالة: الانسجام النصيّ، الخطبة، البنى النصية، العلاقات الدلالية..

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مفتتحُ القول

تخلّقتِ اللسانياتُ النّصيّةُ منَ النَّصّ ذاتهِ، وولّتْ اهتمامَها شطرَه، واعتنت به أيّما اعتناء، ولمّا كان ذلك كذلك، ارتقت بهِ إلى معارجِ الدِّرَاسَاتِ البَحْتِيّة، فاخْتَارَت لهُ الأَفْضَلَ والأَشْملَ لتَحليلِ بِنْيتهِ المتعالِقة مَعَ المُستَوَيَاتِ اللُغَوِيَّةِ، فشيّدَ بِناؤُهَا؛ أَغْنِي اللسانيات النصية، بنحو النص ومعاييره، بما يلائم تعالق الألفاظ وإحسان صياغتها بجودة سبك وحسن ترتيب، وما إن تنهت للنصية ذات المعايير الكاشفة والمبينة عن تشابك النص وتلاحمه، صرف اللسانيون وقتهم في البحث عنها، فوقفوا على خصائصها وميزاتها، ووصلوا إلى أهم معاييرها التي يتعالق فيه الكلم بعضه مع بعض، وترتكز عليها لسانيات النصّ.

إن موضوع اللسانيات النصية أو نحو النص يأخذ صفة النصية، في ارتكازه على المعايير النصية السبعة، التي تمخضت عن بحوث لغوية عديدة في نحو النص، أسفرت عن صياغة الكثير من النظريات حوله، ووصلت إلى التمييز بين النص واللانص (خليل، 2007) لمقدرتها على إظهار الترابط والتماسك في النص لتحقيق ما يسمى بالنصية (بحيري،1997)، هذه المعايير أو المبادئ قد وردت عند دي بوجراند ودريسلر (بحيري، 1997) على أنها سبعة، وهي: الاتساق، والانسجام، والقصدية، والمقبولية، والإخبارية، والمقامية، والتناص (بوجراند، 1998)، ومرمى هذه الورقة البحثية هو الانسجام أو ما يسمى بالالتحام أو التماسك المعنوي **Coherence**: تعرُّف دلالات النص بإدراك العلاقة الخفية التي لا تظهر على البنية السطحية للنص بوسائل الالتحام التي يشتمل عليها، كالسببيّة والعموم والخصوص.

وإن نحو النص قائم على علاقات انسجام تشمل العلاقات المعنوية الظاهرة والمخفية والمعطيات المشكلة لإطار تلقي النص، ولكن هذا لا يعني أن بقية العناصر النصية لا يأخذ بها نحو النص، أو أنها لا تملك أدوات كافية للشرح والتفصيل، بل إنها لا تقل أهمية عن أخواتها الأخريات، ولكني أعنى في دراستي بتطبيق معيار الانسجام في مضمار الدراسة، الذي يرمي إلى جعل النص كمثابة تسلسل للجمل (مانغونو، 2008)، يشارك فيه المتلقي حين يتلقفه من المنشئ، فيغوص في عوالمه ويستخرج لآلأه؛ ليخرج لنا بنص جديد يقارب فيه مقصد منشئ النص.

وإنّ الخطبة جنس من أجناس الكلام المنظوم، تحتاج إلى جودة رصْف لوضع اللفظة في موضعها المناسب، وتضمها إلى شَكْلها، وتضيفها إلى لِفْقِها، وبحاجة أيضا إلى سبْك وحُسْن تأليف، وأكثرها يطلق على ما يختص بالموعظة (العسكري، 1952)، "وذهب أبو إسحق إلى أن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجّع، ونحوهُ... والخطبة، مثلُ الرسالة، التي لها أول وآخر" (ابن منظور، 1997).

والحق أن الخطب ما زالت الوسيلة الأساس في خطاب فئات عامة، وأخرى خاصة، وإثارة حماستهم، ومخاطبة إحساسهم، لما تحمله من خصائص وميزات أهمها الإقناع والتأثير، واسترعاء الانتباه بما يتوافق مع طبيعة المتلقي وحاجاته، وهذا أمر جِدُّ عظيم أن يظفر به الخطيب، ويتمكن من تعرُّف طبائع الخلائق، فلا يكلمهم إلا في ما يعرفون، فيكون في أتم المعرفة بنواميسهم ومشاربهم التي تقوي عملية الاتصال والتواصل، وتصل بالخطيب إلى غايته، ليحقق النجاح، وإلا فلن يكون له ما يريد (أبو زهرة، 1934).

وعليه، الذي تؤمله الباحثة أن تضيف جديدًا في تحليل الخطاب لسانيًّا ومعرفيًّا؛ إذ إنها تبحث في ظواهر انسجامية لتقف من بعد على دلالات هذه الظواهر ومقاصد منشئ هذه الخطابات، وما تلاها من ردود ونزاع قد يكون الخطاب أداته وميدانه في آن واحد، فأن يكون الخطاب أداة للتعبير عن الخلاف والاختلاف هو المعروف من وجهة وظيفية، ولكن أن يكون الخطاب هو موضع الخلاف والاختلاف فذاك أنكى وأشد؛ فتارَة يكون مقصد الخطيب معيّنا على وجه الإحكام، وتارة يكون حمالا لدلالات على وجه الإبهام.

ولا ينسى أن في تحليل هذا الخطاب، في المضمار الذي ارتضته الباحثة، دراسةً اجتماعيةً لشبكة العلاقات بين فئات مجتمع هذا الخطاب، ولهذا كان للبحث أهداف أجلاها: تحليل خطبة الحجاج وَفقا لمقولات تحليل الخطاب في الدرس اللساني الحديث، والوقوف على ظاهرة الانسجام من وُجهة لغوية، وبيان عناصر الانسجام ومدى تجليه في الخطبِ، والوقوف على طبيعة العلاقة بين صاحب الخطبة والمتلقي لخطاباتِه، ودراسة اللغة بعدّها ظاهرة تواصلية اجتماعية، وإبراز الأساليب الخطابية في نصّ الخطبة، والإبانة عن درجة تعالق البنى الصغرى مع الكبرى في نص الخطبة المختارة.

وهناك دراسات سابقة متعددة، تناولت الخطب في التراث العربي بحثا وتنقيبا؛ لما يمثله هذا الموضوع من أهمية في تنزيل القديم منزلة الحديث، وإبراز جمالياته، في هيئات أسلوبية متنوعة، وتجليات كثيرة، فتنوعت الدراسات، واختلفت مناهج الباحثين، فمنهم مَنِ اعتنى بتوظيف تقنيات نحو النص ووسائله على خطب الخلفاء الراشدين وغيرهم، والآخر عمَد إلى استشراف معايير النصية السبعة في خطبة الحَجّاج، أو بعضها، فبحثوا في ما يحقق نصية النصّ، في ما يتوافق ومعايير دي بوجراند، واستشراف الجوانب البلاغية أو التداوليّة أو الحِجاجيّة فيها، وهذه المباحثة وإنِ التقت معَ الدراسات السّابقة في دراسة خطبة الحجاج والي العراق، إلا أنّها اختلفت معها في إفراد المباحثة كلّها لمعيار واحد، ألا وهو الانسجام النصيّ، وهذا ما لم تقف عليه طويلا الدراسات السابقة، فوليتُ وجهي شطرَه، ما اسْطَعتُ إلى ذلك سبيلا، ومن هذه الدراسات السابقة:

- دراسة عمر أحمد شرف الدين، بين زياد بن أبيه في خطبته "البتراء" والحجاج في خطبته "أنا ابن جلا"، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، ع13، 1993.
- دراسة خديجة محفوظي، بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2007.

- دراسة عثمان أبو زنيد، نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010.
- دراسة كمال حملاوي، خطب الحجاج بن يوسف، دراسة لسانية نصية، رسالة ماجستير، جامعة عنابة، الجزائر، 2012.
- دراسة عصام أبو شندي، خطب الحجاج بن يوسف، دراسة بلاغية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، المجلد 33، العدد 132، 2015.
- دراسة محمد عبد الرحمن عطا الله، النصية في خطبة الحجاج ولاية العراق، مجلة كلية الآداب، جامعة السويس، ع2، 2015.
- دراسة ليلى السبعان، خطب الحجاج الثقافي: دراسة في لسانيات النص، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج35، ع139، 2017.
- دراسة رضا عامر، دراسة حجاجية تداولية في خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي في أهل الكوفة حين ولي العراق، مجلة دراسات، جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر، ع73، 2018.

وهذا نص خطبة الحجاج كما ورد في "الكامل":

"وحدثني التَّوَّزِيُّ في إسنادٍ ذَكَرَهُ آخِره عبدُ الملكِ بنُ عُميْرٍ اللَّيْثِيُّ، قال: بينما نحنُ في المسجد الجامعِ بالكوفة، وأهلُ الكوفة يومئذٍ ذَوُو حالٍ حَسَنةٍ، يَخرُجُ الرجلُ منهم في العشرة والعشرين مِنْ مَواليهِ إذْ أتَى آتٍ فقال: هذا الحجاجُ قد قَدِمَ أميرًا على العراق! فإذا به قد دخل المسجد مُعْتَمًّا بِعِمامة قد غطَّى بها أكثرَ وَجْهِه، مُتَقَلِّدًا سيفًا، مُتَنَكِّبًا قوسًا، يَؤُمُّ المِنبرَ، فقام الناسُ نحوَه، حتَّى صَعِدَ المنبرَ، فَمكثَ ساعةً لا يَتكلَّمُ، فقال الناسُ بعضُهم لبعضٍ: قَبحَ الله بني أُمَيَّةَ حيثُ تَستعْملُ مثلَ هذا على العراق! حتى قال عُمَيْرُ بنُ ضَابِئٍ البُرْجُمِيُّ: أَلا أجْصِبهُ لكم؟ فقالوا: أمْهِلْ حتّى نَنظُرَ، فلمّا رأى عيونَ الناسِ إليه حَسَرَ اللِّثَامَ عن فيه ونهض فقال:

أنا ابنُ جَلا وطَلاعُ الثّنايا متى أضَعِ العِمامةَ تَعرفُوني

وقال: يا أهل الكوفة، إنّي لَأَرَى رؤُوسًا قد أيْنَعَتْ وحان قِطافُها، وإنّي لَصَاحِبُهَا، وكأني أنظرُ إلى الدّماء بين العمائم واللِحَى، ثم قال:

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدّي زِيَمْ قدْ لفّها الليلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ

ليس بِراعي إبلٍ وَلا غَنَمْ وَلَا بِجَزَّارٍ على ظَهْرٍ وَضَم

ثم قال:

قدْ لَفَّها الليلُ بِعَصْلَبِيّ اَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدّوِّيّ

مُهاجرٍ ليس بِأعْرابيّ

وقال:

قد شّمَّرَتْ عَنْ سَاقِها فَشُدُّوا وجَدَّتِ الحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا

وَالقَوْسُ فيها وَتَر عُرُدُّ مِثلُ ذِراعِ البكْرِ أو أشَدُّ

إنّي – والله يا أهل العراق – ما يُقَعْقَعُ لي بالشِّنان، ولا يُغْمَزُ جانبي كتَغْمَازِ التينِ، ولقد فُرِزْتُ عن ذكاء، وَفُتِّشتُ عن تجربةٍ، وإنّ أميرَ المؤمنين نَثَرَ كِنانَتَهُ بين يديه فَعَجَمَ عِيدَانها فوجدني أَمَرَّهَا عُودًا، وأصلبَها مَكْسِرًا، فرماكم بي، لأنّكم طالما أوْضَعْتُم في الفتنةِ، واضطجعتُم في مراقِدِ الضّلال.

والله لأحْزِمَنَّكُم حَزْمَ السَّلَمَةِ، وَلَأضْربنَّكُم ضَرْبَ غَرائِبِ الإبلِ، فإنّكم لَكَأهْلِ قريةٍ (كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رَغَدا من كل مكانٍ فكفرَتْ بِأنْعُمِ الله فأذاقها الله لباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعون)، وإني واللهِ ما أقول إلا وَفَيتُ، ولا أهُمُّ إلا أمضيتُ، ولا أخْلُقُ إلا فَرَيْتُ.

وإنّ أميرَ المؤمنين أمَرني بإعطائكم أعْطِياتِكم، وأنْ أُوَجّهَكُم لمحاربةِ عدوّكم مع المُهَلَّبِ بنِ أبي صُفْرَةَ. وإنّي أُقْسِمُ بالله لا أجِدُ رجلا تَخلَّفَ بعد أخذ عَطائِهِ بثلاثة أيام إلا ضربتُ عُنُقَهُ! يا غلام اقرأ عليهم كتابَ أميرِ المؤمنين، فقرأ:

"بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عبد الملك أميرِ المؤمنين إلى مَنْ بالكوفةِ من المسلمين سلامٌ عليكم" فلم يَقُلْ أحد منهم شيئا، فقال الحجاجُ: اكفُفْ يا غلامُ، ثم أقبلَ على الناس، فقال: أسَلَّمَ عليكم أمير المؤمنين، فلم تَرُدُّوا عليه شيئا؟ هذا أدبُ ابن نهْيَةَ، أمَا واللهِ لأُؤَدِّبَنَّكُم غيرَ هذا الأدب أو لَتَسْتَقِيمُنَّ! اقرأْ يا غلامُ كتابَ أمير المؤمنين، فلما بلغ إلى قوله: " سلامٌ عليكم" لم يبقَ في المسجد أحدٌ إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام!" (المبرد، 1997، 2/493-496).

مهاد وتأسيس

إن الانسجام مرتبط بالجانب الدلالي وأدواته التأويل والسياق (السعيد، 2012)، ونوع الدلالة دلالة نسبية؛ "أي أننا لا نؤول الجمل أو القضايا بمعزل عن الجمل والقضايا السابقة عليها" (خطابي، 1991، ص34)، بخلاف الاتساق (الفقي، 2000) المتعلق بالجانب النحوي التركيبي، وبرغم ذلك فكل منهما يسهم في تكوين الصورة الكلية للنص، والعلاقة بينهما علاقة عام بخاص، فالانسجام أعم لتعمقه في العلاقات غير المرئية التي تنظم النص،

فضلا عن اختصاصه بالعلاقات المصاحبة لإنتاج النص التي تضفي عليه صفة الترابط والتماسك بما تستدعيه من علاقات (فرج، 2007) تختص بالاستمرارية "الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم. وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجا وإبداعا أو تلقيا واستيعابا، وبها يتم حبك المفاهيم من خلال قيام العلاقات أو إضفائها عليها إن لم تكن واضحة على نحو يستدعى فيه بعضها بعضا، ويتعلق بواسطته بعضها ببعض" (مصلوح، 1991، ص154).

ونخلص مما سبق أن الانسجام يشكل أحد معايير التماسك النصي التي مثلت أساسا لنحو النص، فحققت النصية **Textuality** (الفقي، 2000)، وأظهرت الترابط بين معاني الأقوال والجمل بالاعتماد على السياق المحيط بطرفي الخطاب، وهو يقوم على ترابط فكري مفهومي تحققه البنية العميقة في النص، وتظهره العلاقات الداخلية فيه كالسببية والعموم وغيرها، التي تنظم الأعمال والأحداث داخل هذه البنية، وإن خلا النص من أدوات الانسجام فما هو حينئذ إلا جسد بلا روح (مداس، 2009). وستتناول الباحثة وسائل الانسجام في خطبة الحجاج على هذا النحو:

السياق(Context) وخصائصه

إن السياق يشكل أحد طرق فهم المعنى المقصود لدى المتكلم، ولا غنى عنه في إظهار التماسك النصي الملازم للسياق، فمعرفة محلل الخطاب النصاني المتكلم من يكون، والمتلقي من هو، يختصر وقتا في التحليل، فتوقع أحداث السياق وما يؤول إليه تكون متيسرة وأكثر دقة وأقرب للصواب، "فكلما زادت معرفة المحلل بخصائص السياق زادت قدرته على التنبؤ بما يمكن قوله" (براون، يول، 1997، ص50)، ناهيك عن الدور الفعال الذي يلعبه في حصر التأويلات الممكنة في أثناء التحليل (خطابي، 1991)، ويعتمد المحلل النصاني في تحليله على أنواع السياق، وهما نوعان: لغوي (مقالي)، وغير لغوي (مقامي)، فأما الأخير يسمى بسياق الحال، وهو الذي يعنينا في هذا المبحث، يتطلب تحليلا للسياق والموقف الذي يتم فيه الحدث اللغوي، ويضم في جنباته السياق العاطفي، وسياق الموقف، والسياق الثقافي (عمر، 1998)، وإن نص خطبة الحجاج قد تكوَّن من أركان أساسية، وهي على النحو الآتي:

1- طرفا الخطاب: المتكلم والمتلقي

إن قراءة السياق تتحتّم على المحلل النصاني أن يعرف من المتكلم، ومن المتلقي، وخاصة إن كانت الخطبة لَمْ توجه إلى عامة الناس، بل وجهت إلى فئة معينة سكنها العراق، فمن الصعب في هذه الحالة فهم النص دون البحث عن أصلهما ومن يكونان، وما موقعهما من الخطاب.

الحجاج الثقفي له نسب طويل، وهو "الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن عامر بن مسعود بن متعب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف أبو محمد الثقفي" (الجزري، 1987، 284/4)، كان شابا لبيبا فصيح اللسان بليغ القول حافظا للقرآن (ابن كثير، 2015)، ولي العراق بأمر من عبد الملك بن مروان، وألقى في أول يوم ولايته خطبته المشهورة التي نقف عليها، وبقي واليا عليها لمدة عشرين سنة حتى توفاه الله في رمضان عام خمسة وتسعين للهجرة (البلاذري، 1996)، واتصف بالشجاعة والحزم والصرامة وحبه للقتل وسفك الدماء وسرعة في تنزيل العقوبات في أهل العراق (ابن خلكان، 1972)، والله أعلى وأعلم.

إن معرفة سيرة الحجاج تساعد في الكشف عن المعاني المتخفية في سياق الخطبة، وما تحتويه من دلالات نصية داخلية وخارجية تنتجها من منحى وثيق الصلة بالإبانة عن القائل ومعرفة نسبه، فوحدة النص وتماسكها أظهرت مؤشرا سياقيًّا يعطي معلومات عن القائل ويعضد مما عرفناه عنه سابقا، فخطابه يتبلّر بين طرفين اثنين من العلاقات اللغوية (أنا) المتكلم و(أنت) المتلقي للخطاب، فحين يبدأ (أنا) بالتحدث تتحول اللغة إلى خطاب، يتجلى في إشارات تبين عن طبيعة العلاقة بين الطرفين (الحاج، 2015)، علاقة مشحونة ومليئة بالغضب عند المتكلم ويقابلها الخوف الشديد عند المتلقي، مما يؤدي إلى أن "تفقد حريتها إذ تخضع لسلطة أعلى" (الحاج، 2015، ص100)، فخطابه يصطبغ بصبغة سلطيَّة دكتاتورية، فالرعية عليها الإصغاء والاستجابة للأوامر الملقاة عليها دون مناقشة، وهو كما أطلق عليه فوكو تسمية "الفرضية القمعية" التي تحد من حرية الشعب ومن تحقيق ما يريدونه، الذي يساعد على ذلك أن يكون منشئ الخطاب الحاكم في السلطة (ميلز، 2016)، ويُرجع أحد الباحثين لغة الحجاج الخطابية التي اتصفت بالاتهام والتهديد والوعيد إلى زمن علي بن أبي طالب حينما اتهمه جنوده بسوء التدبير لينشقوا ويكونوا حزبا مستقلا بهم، بالإضافة إلى التخاذل الذي منحوه إياه، وهذا التخاذل أدى في ما بعدُ إلى انهزام الشيعة وقتل زعمائهم، وزرع في نفوس العراقيين شعورًا بالذنب، وكان له عظيم السهمة في توسيع الهوة بين الخطيب الأموي وجمهوره من أهل العراق عامة، والكوفة خاصة (العمري، 2002).

2- ثنائية الزمان والمكان

إن فضاء الزمكانية يتكون من الزمان والمكان، ولاجتماعهما وعدم تفرقهما في أي نص خطابي، ارتأيت الخروج بهذا العنوان الدامج على الفصل بينهما، وابتدئ بالزمان، إن الزمن الخطابي في متن النص قد روي أنه كان في الفترة الصباحية، وفي الزمن الماضي الذي قيس طوله "بمقدار المدة التي تستغرقها العودة إلى ماضي الأحداث" (بحراوي، 1990، ص131) زمن عبد الملك بن مروان.

وحين نتأمل موضوع الخطبة نلحظ عليه أنه أعطى عدة إشارات للقارئ غير الزمن الماضي، منها: الإشارة الزمنية للزمن الحاضر (إني لأرى رؤوسا

قد أينعت...)، وأخرى لزمن المستقبل (وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى)، وهذه الإشارة كانت إجابة عن ما رمقوه به من نظرات صامتة، وتمتمات تخصه قبل أن يبدأ بالتعريف عن نفسه، وكان ذلك في أول لقاء يجمعه وإياهم، وهاتان الإشارتان الزمنيتان (الحاضر والمستقبل) يفصل بينهما فاصل قصير بدليل قوله (حان قطافها) التي تدل على الآن المستعجل، وقوله (وكأني أنظر) الدالة على تجسيد المشهد وتحويله واقعا على أرضية الحقيقة برسمه ما سيقوم به من فعل، فهو يركز على الفعل أكثر من القول، وترى كلامه يعصر حقيقة المستقبل القريب، لنجد أن الخطبة احتوت إشارات زمانية مختلفة ومتنوعة، وكل منها يدل على قول أو فعل يختلف عن الآخر، وهذا يتأتى لخطيب بصير بالأمور، عالم بما يصنع.

أما العنصر الثاني فهو المكان، وقد قيل في مكان خطبة الحجاج الأولى: "خرج الحجاج يريد العراق واليا عليها في اثني عشر راكبا على النجائب، حتى دخل الكوفة (فجأة) حين انتشر النهار... فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله، ثم صعد المنبر وهو ملثَّم بعمامة خزّ، فقال: عليّ بالناس،... حتى إذا اجتمع الناس في المسجد، قام، ثم كشف عن وجهه" (ابن عبد ربه،1983، 208/4).

إن المكان الذي أودعه الحجاج في خطبته وهو (الكوفة)، كما تبين لنا من القول السابق، أكسبه بعدا دلاليا تمثل في أن الخطاب سيتوجه لأهل هذا المكان، فخصهم في الحديث، لأنهم الهدف من الخطاب كله الذي لم يأت من فراغ، ولم يشكل عنصرا زائدا، بل تضمن معاني عديدة من بينها التوكيد والجزم أنه الوالي عليهم، والكوفة ستكون مكان إقامته، فغدت عنصرًا مهما في النص، تستمد اسمها من الوالي عليها، الحجاج، فهي مكان التناقضات بين الظلم والحق، وتتلون على حسب نفسية الحجاج وحسب ما يذهب إليه من مذهب في قراراته الإدارية وممارساته على الشعب، وإن تشكيل الفضاء الخطابي لخطبته خضع لتفكيره المسبق عنه. أما مكان الانتقال وهو المسجد فقد مثل مساحة لتحرك الوالي فيه وتواجد أهل العراق، وكذلك غدا مكانًا يجمعهم كلما غادروا أماكن إقامتهم الثابتة، أي بيوتهم مع العائلة، فكان المكان الذي يجمعهم خارج بيوتهم، لما غلب عليه من صفتي الانتقال والحركة، غير أنه يشكل فضاء مغلقا يجمع الحاضرين تحت سقف واحد لمحدودية المكان، مما يسمح للخطيب أن يوصل صوته للجميع، فيغدو المكان مصدرا لنقل الأخبار والتأثير على المتلقي، وهذا ما فعله الحجاج، ووراء مظاهر الانفتاح المكاني بلفظة (العراق) ثمة انغلاق داخلي متأصل في لفظة (الكوفة) تسلب منه العامية وتوجهه لجماعة خاصة في مكان محدد من ذاك المكان الواسع، فتغدو الكوفة البوصلة التي سيرتكز الحجاج فيها، ويتحكم في اتجاهاتها التي تصوب هدفها نحو العراق أجمع (بحراوي، 1990).

3- نقطتا الابتداء والانتهاء

إن نقطة الابتداء محور النص، وعموده الفقري الذي تقف عليه، وعلى فقراته يبنى ويتشكل حتى يصل نقطة النهاية، وما بين النقطتين جسر تواصل من الأفكار الفرعية المتصلة بهما، وهذا الجسر يكوّن نصا متكاملا متماسك الأطراف مع البداية والنهاية النصية، وفي خطبة الحجاج نجد أن البداية توجت في نصه باستشهاده ببيت الشعر:

أنا ابنُ جَلا وطَلاعُ الثّنايا متى أضَعِ العِمامةَ تَعرفُوني

فاتحة الكلام ومستهله، و"الوحدة البنائية الأولى من النص... تفتح للخطاب قناة الاتصال" (العبد، 2015، ص92)، وقد كان مناسبا مع نزعه اللثام عن وجهه، فحركته التي قام بها تتلاءم مع معنى البيت، فهم لم يتعرفوا عليه بلثامه إلا بكشفه فما عاد يخفى عليهم، وأحس الحجاج أن عليه أن يقدم الخطبة بكل شدة وحزم ليمسك زمام السلطة، ويبقى المستمع تحت ولايته، فعدّه نكرة لا شيء، وعليه أن يجبله من جديد، على الهيئة التي يرتضيها.

وهذا المطلع مقتبس عن الشاعر سُحيم بن وَثيلٍ الرّياحي أحَدُ بني حِمْيَر، وهو شاعر مخضرم عاش أربعين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام، تحدياه الشابان اليافعان الأخوصُ والأُبَيْرِدُ في الشعر وهو ابن الخمسين سنة فأراد أن يظهر لهما حنكته وقوته ودهاءه، فقال هذا البيت يقارع به هذا التحدي، ويفخر بأبيه وعشيرته وشجاعته، فقوله: طلاع الثنايا، ما هو إلا تأكيد لهما على جلده الذي يتمتع به، وتقال للنافذ في الأمور، والثنايا: الطريق في الجبل، فهو يريد أن يقول إنه جَلْدٌ يطلع الجبال بصعوبتها بكل شجاعة، ولا عجب من ذلك، فنسب أبيه سبقه، ومكانته مرموقة ذات شرف عال (الأصمعي، 1955)، أما العمامة المذكورة في البيت فيقصد بها: "أي متى أسفرْ وأحدرْ اللثام عن وجهي تنظروا إلى فتعرفوني" (الأصمعي، 1955، ص18)، وفي ربط المناسبتين، مناسبة قوله من سحيم ومناسبة قوله من الحجاج، كلاهما في صراع وتحد مع المتلقي، ويريدان إثبات نفسيهما، وتهميش من يقف أمامهما، فجاء البيت ملائما مع ما يحمله الحجاج من فكر سلطيّ، فابتدأه بالتعريف بنسبه العريق من جهة أبيه: (أنا ابن جلا....) نتحدث هنا عن الذاتية في الخطاب، فذاتية الحجاج لعبت دورا منتجا لإبراز الذات، فقوله (أنا...) تأكيد للسامع أنه من قام بفعل التحدث لا غيره، فهو الذات المتحدثة والمتمثلة بصورة عاكسة لذاته (الحاج، 2015)، هذا الخطاب الذي اتخذه الحجاج، وانطلق منه يحدد طريقة تفكيره السُّلطِيَّة، ونظرته لمن يحكمهم من الشعب.

وأما نقطة الانتهاء فهي آخر ما يتبقى من الخطبة في الأسماع، فإن كان الابتداء مفتاح النص، فالانتهاء قفلته المحكمة على عناصره البنائية (القيرواني، 1981)، وهو "إحكام معناه بما يكون نتيجة لما قبله، وتدعيما له، ولمقصد النص الكلي في آن معًا؛ وذلك أن القاعدة لا تكون قاعدة إلا إذا كانت مرتبطة بما فوقها ارتباطا دلاليا بعلاقة ما، وهي غالبا علاقة السبب-النتيجة" (العبد، 2014، ص102)، فمن أسباب الخطبة فضلا عما سبق

قراءة كتاب أمير المؤمنين وما جاء فيه، وبقراءة الكتاب يقوى ويحقق ما يصبو إليه من قمع الشعب واستجوابهم لمطالبه؛ فكان يسترفد المعاونة من أمير المؤمنين قوة له، واستجوابا لمطالب مسؤوله.

وخُلاصَةُ القَولِ أن الحجاج قد أحسن فاتحة خطبته وقفلتها بما يناسب الغاية المنشودة، وبرع فيهما لعلمه ما لهما من وقع على السمع، وإقبال السامع إليهما (القزويني، 1932)، حتى يقع المعنى من السامع في أُنُفِ الفهْمِ، بالإضافة لاستطاعته أن يجهر بقوله دون رهبة، وأن يسكن قلوب رعيته الخوف بهذا الخطاب.

البنية الكلية (موضوع الخطاب)

مبدأ يجد صداه في انتظام المعنى ورتابته عند محللي الخطاب هو الوحدة البنيوية، ينظر لها من منظور الحبك الدلالي، ومن الموضع الذي يوضع فيه المعنى مكانه المناسب ملاءمة وتجانسا بين عناصر المنطوق، فيلحظ عليه استقامته من بداية تكوينه حتى ختامه، وقد ورد عن القدماء في صناعة الكلام ونحوه أنّ خير الكلام عندهم المسبوك المحبوك الذي يكشف عن علاقات دلالية بين النصوص (العبد، 2014).

ويتمحور موضوع نص الخطبة حول فكرة أساسية تشكل نواة المضمون، يطلق عليها تسمية "الثيمة" أي موضوع التصور اليومي لحدث ما، يستخلصها القارئ من خلال فهمه للنص بكليته، ولا يعدل عنها الخطيب، وتبقى محورا رئيسا يدور حوله نظم الجمل من بدايتها حتى قفلتها، تتجلى من خلال جملة معينة تؤخذ من النص أو من خلال العنوان، أو ما يتحقق لنا من خلال تجريد المضمون، واستخراجه بعبارة موجزة، تعد ملخصا لكل ما ذكر فيه، تنشأ من الموضوعات الفرعية المتدرجة في الموضوع الرئيس (برينكر، 2005)، وللتوصل للموضوع الرئيس ومعرفته من وجهة تحليلية نصية نتتبع الوحدات المعجمية التي تبرزها الإعادة النصية التكرارية في الخطبة، ونجدها على النحو الآتي:

أ- الحجاج – مرجع 1

ذاك المرجع الذي يمثله الحجاج يظهر على نحو واضح في الضمائر المتصلة أو المستترة التي تحيل عليه في صورة جمل خبرية وأخرى إنشائية، ومن الدوال عليه في النص ما تحته خط في ما يأتي: **(إنّي لَأَرَى رؤُوسًا قد أيْنَعَتْ/ وكأني انظرُ إلى الدّماء بين العمائم واللِحَى/ ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء/ وَفُتِّشْتُ عن تجربةٍ/ والله لأَحْزِمَنَّكُم حَزْمَ السَّلَمَةِ/ وَلَأَضْرِبنَّكُم ضَرْبَ غَرائِبِ الإبلِ/ و إني واللهِ ما أقول إلا وَفَيتُ/ ولا أهُمُّ إلا أمضيتُ/ ولا أخْلُقُ إلا فَرَيْتُ/ و إنّي أُقْسِمُ بالله لا أجِدُ رجلا تَخلَّفَ هو بعد أخذ عَطائِهِ بثلاثة أيام إلا ضربتُ عُنُقَهُ).**

ب- أهل الكوفة خاصة وأهل العراق عامة – مرجع 2.

المرجعان المذكوران آنفا ذكرهما الحجاج بالاسم الظاهر لهما، أو عن طريق الاستتار بالضمائر التي تحيل عليهما، وقد قدما للقارئ معلومات مكانية عن موقع الخطبة بعدّها قائمة وواقعة تاريخيا، وأشير إلى ما يدل عليهما بالظاهر والمستتر الذي يعود عليهما بما تحته خط في ما يأتي:

(يا أهل الكوفة/ إنّي لَأَرَى رؤُوسًا قد أيْنَعَتْ/ وحان قِطافُها/ و إنّي لَصَاحِبُهَا/ إنّي – والله يا أهل العراق../ فرماكم بي/ لأنّكم طالما أوْضَعْتُم في الفتنةِ/ واضطجعتُم في مر اقِدِ الضّلال/ والله لأحْزِمَنَّكُم حَزْمَ السَّلَمَةِ/ وَلَأَضْرِبنَّكُم ضَرْبَ غَرائِبِ الإبلِ/ فإنّكم لَكَأَهْلِ قريةٍ / وإنّ أميرَ المؤمنين أمَرني بإعطائكم أعْطِياتِكم/ وأنْ أُوَجِّهَكُم لمحاربةِ عدوّكم مع المُهَلَّبِ بنِ أبي صُفْرَةَ/ و إنّي أُقْسِمُ بالله لا أجِدُ رجلا تَخلَّفَ بعد أخذ عَطائِهِ بثلاثة أيام إلا ضربتُ عُنُقَهُ)

انطلاقا من هذين المحورين نستطيع استنباط الموضوع الرئيس للنص أنه متمحور حول الحجاج وأهل العراق، وسيتتبع النص كلا الموضوعين؛ حيث ستدور حولهما الخطبة في موضوعها، ولا بد من التنويه إلى أن موضوع خطبة الحجاج سياسي اجتماعي، يندرج في الخطابة السياسية لعلاقته القوية في بناء الدولة وبسط نفوذها لمكانة المخاطب وحِدة كلامه دون حساب لأي أحد من السامعين، ولا سيما الموضوع الذي ختم فيه خطبته، وهو قتال عدوهم مع المهلب بن أبي صفرة، وإذ نظرنا للغرض التي ترمي إليه فهو دبّ الرعب في قلوب السامعين، وتنفيذ الأوامر سمعا وطاعة، فاعتبرت على هذا النهج اجتماعية، حيث تناولت "العلاقة بين الناس وتنظيم المجتمع مثل خطب الإملاك، والصلح والمخاصمات القضائية، وهي في أغلبها ذات طبيعة موضوعية" (العمري، 2002، ص62)، والحديث الذي صار بين الحجاج ورعيته في نهاية الخطبة كان فيه الحجاج الحاكم الناظر في شأن رعيته، وقد وضع موضع التحليل والتأويل (العمري، 2002) لما يسمعه في الاحتكام إليه، ولبس الحجاج في الموضوعين لباس الوعد والوعيد، والتخويف والترويع!

البنى النصية الكبرى

إن البنية الكلية، مدار الحديث آنفا، يمكن توزيعها إلى بنيتين كُبريين، هما نتاج تراكم سلسلة من الجمل في النص (مزعل، 2016)؛ فالبنية الكلية هي "حصيلة العمليات الدينامية التي تجري في ذهن المتلقي في أثناء تحليل النص بوجهات نظر متنوعة، وصولا إلى المآل الذي ترتبط فيه كل القضايا لتؤلف بنية النص الكبرى أو موضوعه الأصل" (مزعل، 2016، ص380)، وأما البنية الكبرى الأولى فهي مفتاح الخطبة الذي تمثلت ببيت من الشعر،

يحمل دلالات دالّة على الفخر والمديح بذاته ونسبه، وترسل موجات من القوة والهيبة للمتلقي عن الخطيب، غير ما تشكله من معالم النص، وتهيئة نفسية المتلقي على سماع ما سيأتي من بقية الخطاب الموجه له، وأما البنية الكبرى الثانية فهي تشكل الدلالات التالية لافتتاحية الخطاب، أي لبيت الشعر أنا ابن جلا...، وهي على النحو الآتي:

- العلاقة بين الوالي والرعية: علاقة سلطية بحتة، بطش وسفك دماء، وقد تمثلت في قول الحجاج: "يا أهل الكوفة، إنّي لَأَرَى رؤُوسًا قد أيْنَعَتْ وحان قِطافُها، وإنِّي لَصَاحِبُهَا".

- صفات الوالي: أصلب الناس، وأمرهم عودا، والقائد الذي سيخمد نار الفتنة التي حدثت في العراق، ويقطعها من شراييها، إذ يقول والهم الحجاج: "وإنّ أميرَ المؤمنين نَثَرَ كِنانَتَهُ بين يديه فَعَجَمَ عِيدَانها، فوجدني أَمَرَّهَا عُودًا، وأصلبَهَا مَكْسِرًا، فرماكم بي، لأنّكم طالما أوْضَعْتُم في الفتنةِ، واضطجعتُم في مراقِدِ الضّلال".

- طاعة الوالي: اتسمت بالتهديد والتحذير، فطاعته واجبة، ومن يخالف أمره فمصيره الضرب المبرح، شديد الإيلام، على حد قول الوالي: "والله لأَحْزِمَنَّكُم حَزْمَ السَّلَمَةِ، وَلَأَضْرِبَنَّكُم ضَرْبَ غَرائِبِ الإبلِ، فإنّكم لَكَأَهْلِ قريةٍ (كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رَغَدا من كل مكانٍ فكفرَتْ بِأَنْعُمِ الله فأذاقها الله لباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعون)".

- حرب الخوارج: ومع أول خطبة للحجاج في الكوفة أمر الرعية بالانضمام إلى جيش المهلب لقتال الخوارج، قال: "وإنّ أميرَ المؤمنين أمَرني بإعطائكم أعْطِياتِكم، وأنْ أُوَجِّهَكُم لمحاربةِ عدوِّكم مع المُهَلَّبِ بنِ أبي صُفْرَةَ"، وخطب في البصرة كما فعل في الكوفة لحشد الناس لقتالهم، فكان المهلب يحارب بجيشه، وعبد الرحمن بن مخنف يحارب من جهة أخرى بجانب المهلب، وهو القائد الذي أرسله الحجاج لقتال الخوارج مع جيش يساند جيش المهلب (كامل، 2019).

ترتيب الخطاب

جاءتِ الخطبةُ مرتبةً على هيئة سلسلة منظمة، تجاهها من العام إلى الخاص، وهذا الترتيب يسهم إسهاما كبيرا في التماسك النصي، لأن الخطيب "يرتب المعاني في نفسه، ويَنْزِلُها، ويَبْني بعضها على بعض... يرتِّب الفروعَ على الأصول، ويتبع المعنى المعنى، ويلحق النظيرَ بالنظير" (الجرجاني، 2004، ص53)، وهذا ما وجدناه في البنية الكبرى للنص، فالسابق فيها يتبع اللاحق، ولا يكاد يخرج عنه، وكل فقرة متماسكة مع الفقرة السابقة، ومترابطة معها.

إن المتأمل في نص الخطبة يجد الحجاج سلك فيها مسلك العام في رصّ الجملة لأختها الجملة وتلاحمهما معًا، ثم انتقل فيها إلى الخاص، فالعام ظهر مع بداية الخطبة، الذي آل إلى زرع الرهبة والخوف في قلب السامع من شخص الحجاج، فقال: "أنا ابن جلا..."، وأردفه بقوله: إني لأرى رؤوسا قد أينعت.." والخاص إظهار ملامح منهجه في التصرف مع الرعية واليًا عليهم، كما في قوله: "والله لأَحْزِمَنَّكُم حَزْمَ السَّلَمَةِ، وَلَأَضْرِبَنَّكُم ضَرْبَ غَرائِبِ الإبلِ"، ثم أتبع ذلك بموضوع خاص يتعلق بأمرهم وهو محاربة الخوارج مع المهلب، والقضاء عليهم، فقال: "وإنّ أميرَ المؤمنين أمَرني بإعطائكم أعْطِياتِكم، وأنْ أُوَجِّهَكُم لمحاربةِ عدوِّكم مع المُهَلَّبِ بنِ أبي صُفْرَةَ"، ونلحظ على هذا الترتيب في النص أنه متماسك الفكرة، لا يكاد يجد المتلقي فيه أي فراغ أو ثغرة، فكله مشدود بعقد له بداية وفيه نهاية، تفصله قطع خرزٍ اجتزئت من أصله، فما عاد يفصل بينها الناظر وبين قطعها، وكأنها قطعة واحدة انتظمت أجزاؤها، واستوى خلفها مع أمامها، وتماثلت في المقاصد، وسيتضح التماسك النصي على نحو أوضح عند تفكيك النص إلى بنى نصية صغرى، وتوزيع الوحدات اللغوية توزيعا مفككا (نعامنة، 2016).

البنى النصية الصغرى

تتفتق البنى الصغرى من البنى النصية الكبرى التي خرجت من لدن البنية الكلية للنص، ورسمت معالمها، ولم تكتف بهذا، بل حضنت البنى الصغرى للنص، وأضافت تماسكا بينها وبين البنية الكبرى، فكانت الوسط الجامع الذي يجمع تحت جناحيه العريضين البنيتين النصيتين: الصغرى، والكبرى، وللوصول إلى مكونات البنى الصغرى نعيد توزيع الوحدات اللغوية وتفكيكها للاستدلال على العلائق الدلالية الموجودة بين مكونات النص، وللحصول عليها يستعان بمبدأ التأويل (نعامنة، 2016) الذي يسمى بالتأويل المحلي **Local Interpretation**، وإن هذا المبدأ "يعدُّ تقييدا للطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق، كما أنه مبدأ متعلق أيضا بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني مثل "الآن"، أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاسم "محمد" مثلا" (خطابي، 1991، ص56)، والبنى الصغرى في خطبة الحجاج جاءت على هذه الهيئة[1]:

- **"هذا الحجاجُ قد قَدِمَ أميرًا على العراق! فإذا به قد دخل المسجد... فلمّا رأى عيونَ الناسِ إليه حَسَرَ اللِّثَامَ عن فيه ونهض".**

[1] لورود نص خطبة الحجاج كاملة قبل التحليل، اكتفت الباحثة بذكر أول البنية وآخرها، فارجع البصر للخطبة كاملة كلما وردت النقاط الثلاث الدالة على الحذف.

هذه البنية الخارجة عن النص، لا علاقة لها بنص خطبة الحجاج، ولكن جيء بها قبل بدء الخطبة، فاستحقت منا وقفة عليها مجلية لدلالاتها المبطنة في مضامينها، ويكفينا منها الإشارات المصاحبة لها، التي تبين وتجلي حدة الخطبة التالية لها، فهي تصور هيئة الحجاج حينما قدم العراق: شخصية على أُهْبَةِ الاستعداد، وكامل التجهيزات لخوض حرب كاملة ضدهم، فأقبل عليهم وهو يتقلد سيفه، يتنكب قوسا على مَنْكِبِه، يصعَد على المنبر دون أن يهمس بِبِنْتِ شَفَةٍ، وليس من العادة أن يصل الخطيب المنبر فلا يتكلم، ويبقى صامتا ولا يتلفت لمن حوله، ولا يلقي السلام عليهم، وهم ينتظرونه ليخطب فيهم وما خطب! فأي حقد وأي شجاعة امتلكها الحجاج وقتئذ؟! ونترك هذا السؤال جانبا لنلتفت إلى ما جاء بعده من كلام يظهر حقد الناس على بني أمية، فقالوا لبعضهم بعضا وهم ينتظرون الحجاج ليخطب فيهم، وبعد إنكارهم عليه سكوته عن الكلام: طمس الله بني أمية لولايتها لشخص لا يستحق الولاية، وهذا دليل أن أهل العراق في عداء مع بني أمية، فودّ أحدهم أن يحصبه.

- **أنا ابنُ جَلا وطَلاعُ الثّنايا متى أضَعِ العِمامةَ تَعرفُوني**

بيت من الشعر يقتبسه كما جاء على لسان سُحيم بن وثيل ليدخل باب التناص الأدبي المباشر، دون أن يعمل فيه أي تغيير في صدره أو عجزه، ويعود ذلك لرؤية الحجاج أنه يعبر عن المقام الذي يسوده التوتر والخوف، فيجدها فرصة ليطبع في أذهانهم تعريفا عنه في أول لقاء بهم، يحيطه بهالة من الهيبة والخوف والرعب والفزع من شخصه، وليكون مرآة عاكسة لشخصيته القادمة في قابل الأيام.

- **يا أهل الكوفة، إنّي لَأرَى رؤُوسًا قد أيْنَعَتْ وحان قِطافُها، و إنّي لَصَاحِبُهَا، وكأني أنظرُ إلى الدّماء بين العمائم واللِحَى.**

وبعد أن عرّف عن نفسه، بدأ بمخاطبة المستمعين وهو يقصد أهل الكوفة منهم، ليحيل عليهم ما سيأتي من صور تعسفية، وفي استخدامه أداة النداء يثير انتباههم إلى ما سيلقيه عليهم من خطاب، ويدخل هذا النداء باب المجاز المرسل ذي العلاقة الكلية والمراد بها الجزئية، فهو يخاطب المستمع من أهل الكوفة في تلك اللحظة، ولكنه لم يلق بالا لهذه الجزئية منهم، بقدر اهتمامه بجماعة الكوفة كلهم، لينتقل الحديث إليهم جميعا، فاستخدامه للمجاز هو رأس الفصاحة والبلاغة (القيرواني، 1981)، و"في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعا في القلوب والأسماع" (القيرواني، 1981، 266/1)، وبعد هذا النداء المقصود من الحجاج، تبدأ الصور الفنية بالهطول على رؤوسهم، وإحداث أثر في النفس، فالاستعارة المكنية المستخدمة في تشبيه رؤوسَهم بثمار أينعت وحان قطافها، دلّت على قوة التخيل التي يمتلكها الخطيب، وقوة الصورة المحاكة بتفاصيلها في مخيلته، فالاستعارة كما التشبيه "يُخرِجان الأغمض إلى الأوضح، ويقربان البعيد" (القيرواني،1981، 287/1)، وبذلك تتضح معاملة الحجاج لهم مع بداية رسمه لمعالمها من بحار الظلم وممارسة العنف.

ولا يخفى على متأمل لهذه البنية النصية أنها حملت إشارات دلالية مصاحبة للغة المنطوقة، تشير على أن لغة الجسم عند الحجاج أدت تعابير ومقاصد كما أدى لسانه ما أملاه عليه من نطق، فقوله: "أرى.. أنظر" لا بد أنها صحبت معها نظرة فيها حقد وشدة وبغض للطرف المقابل له، وربما أيضا صحبتها حركة في اليدين فيها قوة وتملؤها الجدية ويكتنفها الغضب، "وقالوا: مبلغ الإشارة أبلغ من مبلغ الصوت... وقيل: حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان" (القيرواني، 1981، 309/1).

- **هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدّي زِيَمْ قدْ لفّها الليلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ**
  ليس بِراعي إبلٍ وَلا غَنَمْ وَلَا بِجَزَّارٍ على ظَهْرٍ وَضَمْ

ثم قال:

قدْ لَفَّها الليلُ بِعَصْلَبِيّ اَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدّوِيّ
مُهاجرٍ ليس بِأعْرابيّ

وقال:

قد شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِها فَشُدُّوا وجَدَّتِ الحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا
وَالقَوْسُ فيها وَتَرٌ عُرُدُّ مِثلُ ذِراعِ البَكْرِ أو أشَدُّ

وبعد أن خاطبهم باسمهم، ومناداتهم بالقولِ: يا أهل الكوفة، ندبهم لقتال الخوارج، وهو هدفه الأسمى، الساعي إليه، والطامح لتحقيقه لإخماد مواطن الفتن وبؤرها المرتكزة في العراق، فتكاثفت الاقتباسات من الشعر تناصا أدبيا مباشرا؛ ضمنه في خطبته لسببين، أحدها رسالة يريد أن يودعها في نفوسهم، وثانيها لِيُعلِمَ المتلقي عما يمتلكه من مخزون ثقافي، يعدّ في ذاك الوقت أهمَّ العلوم التي يتباهون بها، وبدرايتهم فيها.

ولإظهار الانسجام في الأبيات وعلاقة السابق فيها باللاحق، يسلّط الضوء على كل مجموعة من الأبيات على حدة؛ كي يظهر الانسجام والترابط المتلاحم فيها على النحو الآتي:

المجموعة الشعرية الأولى[2]:"هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدي زيم... ولا بجزار على ظَهْرٍ وَضَمم "

[2] تطلق الباحثة عليها مصطلح "شعر" تجوّزًا، فهي من الرجز الذي يعدّه بعض الدارسين غير الشعر.

هذه الأبيات لِلْحُطَمِ الْقَيْسِيّ (البكري، 1971)، وقيل لِأَبِي زُغْبَةَ الْخَزْرَجِيّ، وقيل لرُشيدِ بنِ رُمَيضٍ العَنزِيّ (ابن منظور، 1997)، وفي قوله: "قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ"، هو مثل يضرب لوالي السوء وأشر الرِّعاء؛ بسبب تعامله مع الرعية بكل ظلم وتعسف وجور وعنف، فيكسر ويحطم كل ما يقع تحت يده، فيكون كالنار التي سميت بالحطمة لتحطيمها كل شيء (ابن منظور، 1997)، فيسوقهم سوقا عنيفا لينجوَ ومن معه (شرف الدين، 1993)، ولذا يسوق هذا البيت للمتلقين ليحركهم لقتال الخوارج (البكري، 1971)، وفي البيت الثاني دلالة على شرفه وتعاظمه بأناته التي تعلو على الشعب، وهذا ينسجم مع مستهل خطبته: أنا ابن.. التفاخر والتبجّح والتكبر والتباهي بنفسه.

المجموعة الشعرية الثانية: "قدْ لَفَّها الليلُ بِعَصْلَبِيّ... مُهاجرٍ ليس بِأعْرابيّ"

أول ما يشد الانتباه هنا تكرار "قد لفها الليل" لورودها في المجموعة الشعرية الأولى بقوله: "قد لفها الليل بسواق حطم"، وكلاهما من الأمثال التي تتداول على الألسن، وكأنه أراد أن يقرب الصورة للمتلقي بربطها بثقافته المتداولة، ويؤكد مرة أخرى مدى ثقافته التي يمتلكها، فما عندهم عنده، وأراد أيضا بالتكرار هذا أن يصل الأبيات بعضها ببعض، ويربطها بالفكرة من خلال تأكيد المعنى نفسه بقوله: "قد لفها الليل بعصلبي"، فهو مثل يضرب في الراعي الشديد الذي يسوق رعيته (ابن منظور،1997)، وأكد الصورة هذه بردفها بعجز البيت "أروع خراج من الدوي"، المؤكدة خبرته في سوق الرعية بذكاء ونباهة، وهذا يحيل الذاكرة إلى المثل القائل: " فلانٌ خرّاج ولاّج: يضرب في العارف الخبير بالأمور" (عمر، 2008، مادة "خرج")، ولم يكتف بهذه المؤكدات، بل أضاف إليها خبرته في السير بالفلوات، فالدوي "يَعْنِي الْفَلَوَاتِ جَمْعُ دَاوِيَّةٍ، أَرَادَ أَنَّهُ صَاحِبُ أَسْفَارٍ وَرِحَلٍ، فَهُوَ لَا يَزَالُ يَخْرُجُ مِنَ الْفَلَوَاتِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ بَصِيرٌ بِالْفَلَوَاتِ فَلَا يَشْتَبِهُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا. وَالدَّوُّ: مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ، وَهِيَ صَحْرَاءُ مَلْسَاءُ" (ابن منظور، 1997)، ودلل بالشطر الأخير على معنى الشطر السابق بقدرته على التنقل من مكان لآخر.

المجموعة الشعرية الثالثة: "قد شّمَّرَتْ عَنْ سَاقِها فَشُدُّوا... مِثلُ ذِراعِ البَكْرِ أو أشَدُّ"

مع إلقاء النظرة على صدر هذا الرجز والتمعن فيه، نجده تشابه مع صدر الأول في المجموعة الشعرية الأولى: "هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدِّي زِيَمْ"، الذي يحيلنا إلى قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾ (سورة القلم، 42)، والكشف عن الساق هي أشد ساعة يوم الحساب، وفي تفسيرها أن المرء إن وقع في مصيبة أو كرب أو شدة لا بدّ أن يشمر عن ساقه، ويجدّ في الأمر حتى يكشف له (الرازي، 1981)، فشبه وتر القوس بشدته وغلظته بذراع البِكر في توترها (ابن منظور، 1997)، فاستعماله لهذا اللون البياني وإدخاله على خطبته؛ أعني التشبيه، "مما اتفق العقلاء على شرف قَدْرِه، وفخامة أمرِه في فنّ البلاغة، وأن تعقيب المعاني به _ يُضاعف قُواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحًا كانت أو ذمًّا، أو افتخارًا، أو غير ذلك" (القزويني، 2003، ص164)، وأحسب أن الحجاج هيَّج النفس وأثار غضبها واستفزها لفعل ما يريد.

- **إنّي –والله يا أهل العراق– ما يُقَعْقَعُ لي بالشِّنان،..ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء، وَفُتِّشتُ عن تجربةٍ.**

قول الحجاج هنُا: "ما يقعقع لي بالشنان، ولا يغمز جانبي كتغماز التين"، كناية عن نسبة لشيء من متعلقات الموصوف، فالشنان وهي القربة يحركها صاحبها لتخويف الإبل للسير بسرعة، كناية عن الخوف، فقام بنفيها، لينفي عن نفسه صفة الخوف، والكناية الثانية التي هي تشبيه في الأصل: كتغماز التين، بها ينفي عن نفسه صفة الليونة، فالتين كناية عن اللين، فهو من أبرز ما تتصف به هذه الثمرة (أبو شندي، 2015)، والكناية نوع من أنواع الإشارات التي يشير بها إلى نفسه (القيرواني، 1981)، وهو ما يلحظ على الكنايات المستخدمة آنفا. وأما الاستعارة ففي قوله: "لقد فررت عن ذكاء"، حيث شبه نفسه بالفرس التي ينظر لأسنانها ليعرف سنها، فنظرة واحدة عليه كفت الأمير لمعرفته.

- **"إنّ أميرَ المؤمنين نَثَرَكِنانَتَهُ... مر اقِدِ الضّلال".**

ولينفي الشك عن كلامه السابق، أعلم السامع عن كيفية اختياره، فأخبرهم أن أمير المؤمنين نثر كنانته، واختار أقواها عودا في حمل السلاح والتصدي للخوارج، فلفظة (عود) فيها تورية تثير ذهن السامع، وتحمل معنيين أحدهما قريب، والآخر بعيد، فأما القريب فبمعنى العود المتعارف عليه، أي غصن الشجر اليابس، أما البعيد وهو المقصود فيعني به السلاح (أبو شندي، 2015)، وبعد نفيه للشك أظهر ما يضمره في نفسه من حقد عليهم، فالفعل (رماكم) يحمل الغضب الشديد على العراق وأهلها لكرههم بني أمية، والحجاج وجدها فرصة للانتقام منهم، وإعادة الخلافة لسلالته، وبدا لهم مظهرا السبب في هذا الرمي، وما خجل من إظهاره.

- **"والله لأحْزِمَنَّكُم حَزْمَ السَّلَمَةِ، وَلَأضْرِبنَّكُم ضَرْبَ غَرائِبِ الإبلِ، فإنّكم لَكَأهْلِ قريةٍ ﴿كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رَغَدا من كل مكانٍ فكفرَتْ بِأنْعُمِ الله فأذاقها الله لباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعون﴾ (سورة النحل، 112).**

وفي هذه البنية يظهر الحجاج أقوى من ذي قبل في حدة كلامه بعد أن احتمى بأمير المؤمنين، فكان يكفيهم من القول ما سبق: "رماكم بي.."، فيفهم من هذا الفعل أن الأمير في صفه ومعه في تصرفاته، وسيشدّ أزره في ما يذهب إليه، فَعَلَتْ عنده النبرة مع إيقاع خطابي عال، يأتي بالفعل ومطلقه، ويأتي بالصورة تلو الصورة بحركة سريعة تجمعها أداة الربط العاطفة بينها، وكأنهم في أهوال يوم القيامة، ومن ورائهم جهنم تنتظرهم، فيشدهم شدًّا كأوراق السَّلَم، فيضربهم بالسيف لتتساقط رؤوسهم على الأرض كما تتناثر أوراق السلم عند ضربها، وضربه يشبهه بالمثل القائل "لأضربنكم ضربة غرائب الإبل" (ابن منظور، 1997)، أي "أن الإبل إذا وردت الماء، فدخلَ عليها غريبةٌ من غيرها، ضُربتْ وطُردت حتى تخرجَ عنها" (ابن منظور، 1997)، وهذا الحزم

والضرب تشبيه تمثيلي يحمل معاني الوعيد والتهديد وخاصة أنه ألحقه بمؤكدات وأردفه بأفعال مطلقة من الفعل ذاته، وقد أتبع الحجاج هذا المثل بمثل آخر، يقتبسه من القرآن الكريم، من باب التناص الديني المباشر، الذي يضاف إلى حصيلته الثقافية والمعرفية، فهو يريد أن يعلم السامع عن معرفته بأهم مرتكزات العلوم وقتها وهي الشعر والقرآن، فيضرب لهم مثلا ضرب بأهل مكة أو أي قرية كانت فيها هذه الصفات، وهي الصفات التي ذكرها الله في الآية، أنها آمنة معظمة فلا يغار عليها، ويعيش أهلها باطمئنان، فلا يجتاحهم الخوف ويستدعيهم أي سبب للانتقال منها إلى مكان آخر، حتى كفروا بأنعم الله فلم يشكروه ولم يطيعوه، ولم يأدوا حق أهلها عليهم من مواساة الفقير وذوي الحاجات فأذاقهم؛ أعني أهل القرية، الجوع والخوف (الماوردي، 2012)، وإني أجنح إلى ما ذهب إليه الماوردي أن القرية هي المدينة التي "آمنت برسول الله ﷺ، ثم كفرت بأنعم الله بقتل عثمان بن عفان وما حدث بعد رسول الله ﷺ بها من الفتن، وهذا قول عائشة وحفصة رضي الله عنهما" (الماوردي، 2012)، فبعد مقتل عثمان بن عفان وقعت الفتن (الذهبي، 2004)، وعذبهم الله بالجوع والخوف، ليتعلموا كيف يبطروا النعمة التي أنعمها الله عليهم، والحجاج يرى رعيته بطرت معيشتها، فلم يعرفوا قيمة الأمويين، فلم يحترموهم ويقدروهم، فكان منه أن يعذبهم بالسيف وبالقوة ليصل بهم إلى ذروة الطاعة له أولا ولبني أمية ثانيا.

وهذه الأمثلة التي احتوت على القسم والمؤكدات باللام الواقعة في جواب القسم والنون الثقيلة والفعل المطلق تبين عن سياسة انتهجها الحجاج مع الرعية، تقوم على البطش والظلم، فما هي إلا أساليب غرضها تقرير القول عند السامع.

- **"و إني واللهِ ما أقول إلا وَفَيتُ، ولا أهُمُّ إلا أمضيتُ، ولا أخْلُقُ إلا فَرَيْتُ"**

وأتبع الحجاج تهديده ووعيده السابق بقسم يؤكد فيه كلامه السابق، وأن قوله نافذ ومغلف بالصدق، فإن هم بفعل شيء فإنه يفعله، ولا يقف أحد في طريقه، ولكي يؤثر في السامعين أكثر، ويوحي لهم بسلاسة تنفيذ ما يقوله استخدم السجع قبل كل فاصلة (وفيت، أمضيت، فريت)، وهو إيقاع خطابي له وقعه في النفوس.

- **"وإنّ أميرَ المؤمنين أمَرني بإعطائكم أعْطِياتِكم،... إلا ضربتُ عُنُقَهُ!"**

ولم ينس الحجاج في ثني تهديده واحتقاره للرعية أن يسلط الضوء على رسالة أمير المؤمنين التي أرسلها معه لأهل العراق، وكأنه يقول: وإن أمير المؤمنين أمرني بعد الخطاب الوعيد أن أعطيكم...، وهذا ليس مستبعدا أنه تم التخطيط عليه بينهما، كيف تبدأ الخطبة، وكيف تنتهي، فلا يعقل أن يأتي بداية الخطاب والشعب لا يريد سماعه، ويقول لهم: اسمعوا كتاب أمير المؤمنين، بل مكن نفسه في النفوس، وأحرز فيها ما يطمح له، وأسكتهم بالأعطيات، فهو عالم بنفوس الرعية وما يروي ظمأهم، وحالهم التي كانوا عليها من فقر وغيره، ولا مفر مع الأعطية إلا تنفيد الأوامر والاستجابة للمطالب، وهي اللحاق بجيش المهلب لقتال الخوارج.

وتضمنت البنية لفظة (أمرني)، فمع بشاعة الموقف والعلاقة بين الوالي ورعيته، ظل الحجاج ملتزما لحدوده ولم يتجبر على سيده أمير المؤمنين، فناسب المقال المقام باستخدامه الأمر، فالسيادة العليا لسيده، فاحترم هذا الشيء، ولم يتكالب عليه.

- **"يا غلام اقرأ عليهم كتابَ أميرِ المؤمنين،... فلما بلغ إلى قوله: "سلامٌ عليكم" لم يبقَ في المسجد أحدٌ إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام!"**

ختم الحجاج خطابه بتلاوة لكتاب أمير المؤمنين، وهذا يعيدنا إلى بداية الخطبة وما حملته الأبيات الشعرية من شد العزائم وإيقاظ الهمم لقتال الخوارج، فهذا المقطع من النص مع الأبيات السابقة له، يوحيان بغيظ شديد يحمله الحجاج وأميره على الخوارج، فيريد القضاء عليهم، وألا يبقي نسلًا يقال عنه هذا من الخوارج، ولهذا بقي الحجاج والغلام يقرأ متيقظا للسامعين، مركزا على ما يدور من أحداث، فنهاهم عن فعلهم في عدم رد السلام، ليظلّ متحكما في أمرهم، ويظلوا تحت سيفه موالين له ولبني أمية، فقوله لهم "لتستقيمن"، وهو فعل مضارع مقترن بلام واقعة في جواب القسم، ملحقة بنون التوكيد الثقيلة، وتحقيق لغرض التهديد والتحقير، ونجد هذا الغرض الختامي من كلامه توافق مع نسيج النص جميعه، ويظهر في كل بنية سبق ذكرها.

العلاقات الدلالية

علاقات تحدث في داخل النص، تربط السابق باللاحق، وتقدم محتواه بمساندة السياق، وهذه العلاقات يختلف وجودها من نص لآخر، وفي خطبة الحجاج بدت هذه العلاقات بحاجة إلى الحديث عنها، وهي:

1- علاقة التعميم

تسمى علاقة التخصيص والإجمال أو التفصيل، تردف المعنى بالشرح والتفصيل والتخصيص (عبد المجيد، 1998)، وهي" إحدى العلاقات الدلالية التي يشغلها النص لضمان اتصال المقاطع ببعضها عن طريق استمرار دلالة معينة في المقاطع اللاحقة" (خطابي،1991، ص272)، ومثال ذلك: كان أبوه صالحا، فما كادت تمضي ليلة دون أن يتفقد جيرانه وأهل الحي بما يحتاجون إليه من مؤونة، فالعبارة الثانية جاءت مفصلة للجملة الأولى المجملة المكثفة الدلالة والمعنى، ومن الأمثلة المجلية لها من نص الخطبة التي ذكرت فيها الجملة المثبتة، وقد أردفت بالجملة المفسرة لتفصيل ما أجملته سابقتها على النحو الآتي:

أ- إنّي – والله يا أهل العراق – ما يُقَعْقَعُ لي بالشِّنان، ولا يُغْمَزُ جانبي كتَغمَازِ التينِ **(الجملة المثبتة)** = فُرِزْتُ عن ذكاء، وَفُتِّشتُ عن تجربةٍ **(الجملة المفسرة).**

ب- والله لأحْزِمَنَّكُم حَزْمَ السَّلَمَةِ، وَلَأضْربنَّكُم ضَرْبَ غَرائِبِ الإبلِ**(الجملة المثبتة)** = فإنّكم لَكَأهْلِ قريةٍ (كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رَغَدا من كل مكانٍ فكفرَتْ بِأنْعُمِ الله فأذاقها الله لباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعون) **(الجملة المفسرة).**

إن المتفحص لكل مثال من الأمثلة المذكورة يضع يده صوب علاقة تربط بين الجزأين بعضهما ببعض في إطار الوحدة النصية والتماسك الدلالي ليحقق الوحدة النصية الكبرى.

2- علاقة الصفة

تكون هذه العلاقة للكل أو الجزء (عبد المجيد، 1998)، ومثالها من الخطبة:

- "إنّي لَأرَى رؤُوسًا قد أيْنَعَتْ وحان قِطافُها"

شكلت الجملة الفعلية (أينعت) صفة للرؤوس، وهي علاقة جزء من كل، فالرأس جزء رئيس من جسد الإنسان، فلم تذكر بلا جدوى من بين أجزاء الجسد؛ لأنه إن قطع ما عادت الروح تجري في مجراها وستنتقل لبارئها، فوصفت الرؤوس أنها قد أينعت، وحان قطافها، فكانت وصفا للهيئة التي أصبح الرأس عليها في عبارة صلة تجمع الصفة مع الموصوف مما منح النص تماسكا وارتباطًا.

3- العلاقات المنطقية

- علاقة السبب - النتيجة

علاقة تربط بين جملتين، تكون إحداهما نتاج الأخرى وسببا في حدوثه، وقد تتعدى لربط النصّ بالسياق(عبد المجيد، 1998)، ومثال هذه العلاقة قول الحجاج:

- إنّ أميرَ المؤمنين.. رماكم بي **(النتيجة)**= لأنّكم طالما أوْضَعْتُم في الفتنةِ، واضطجعتُم في مراقِدِ الضّلال.**(السبب)**

إن أمير المؤمنين عين الحجاج واليا على أهل العراق بسب اضطجاعهم في مراقد الفتن والضلال، وهذه العلاقة أنشأت خيط ترابط متينا حقق الاستمرارية للنص معنى ودلالة، وأبقى على عنصر التشوق حاضرا في ذهن متلقفيه لتعرُّف النتائج المترتبة على تلك الأسباب.

وأردف الحجاج السبب في هذه البنية بنتيجة أتبعت في الفقرة اللاحقة لها، بقوله:

- والله لأحْزِمَنَّكُم حَزْمَ السَّلَمَةِ، وَلَأضْربنَّكُم ضَرْبَ غَر ائِبِ الإبلِ = فإنّكم لَكَأهْلِ قريةٍ (كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رَغَدا من كل مكانٍ فكفرَتْ بِأنْعُمِ الله فأذاقها الله لباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعون).

فالسبب السابق (لأنّكم طالما أوْضَعْتُم في الفتنةِ، واضطجعتُم في مراقِدِ الضّلال) تلاحم مع النتيجة (والله لأحْزِمَنَّكُم حَزْمَ السَّلَمَةِ، وَلَأضْربنَّكُم ضَرْبَ غَرائِبِ الإبلِ)، واقتبس آية من القرآن تلائم ما سبقها من سبب ونتيجة، فالآية تبدأ بالسبب وتنتهي بنتيجة (فأذاقها الله لباس الجوع...)، وانسجام الآية مع ما سبقها من وحدات لغوية لم يأت من فراغ، بل قصد به الحجاج أن لكل نتيجة أسبابًا تسهل مطلبها وترشد إلى فعلها، فلولا أنكم تستحقون ذلك لما ذقتم عذابي، كما استحقه أهل القرية فأذاقهم الله مرّ العذاب، وألبسهم لباس الخوف والجوع.

مختتمُ القول

اتضح مما ذكر آنفا مدى أهمية الدراسة النصية من الجانب الانسجامي في ظهور الخفي المقصود، ودور وسائله في إبراز تلاحم أجزاء النص وتر ابطها في جو انيتها وبر انيتها، وهذا أوان الشروع بقفلةٍ جامعة مشتملة على أهمّ النتائج:

– إنّ الناظر في وسائل الانسجام النصي يجد لها أصولا وإلماحاتٍ في التراث اللغوي عند القدماء، فقد اعتنوا بالخطاب، واهتموا بطرفيه المتكلم والمتلقي، والعلاقة القائمة بينهما على الاتصال والتواصل اللفظي وغير اللفظي، وأفرزوا لنا أشتاتًا من الأنظار الدائرة حول المعنى ومعنى المعنى، وأهمية أن يتمكن الإنسان من قول الكلام البليغ الذي يليق بكل مقام، فقد أجمعوا أن هناك غاية من كلام الناس، ومقصد ما يبتغي المخبِر تحققه على أرض الواقع، وأمّا ما جاء به الانسجام من خصائص السياق المجلية له بمعرفة المخاطِب والمخاطَب والابتداء والانتهاء وغيرها من العناصر، فقد وقف عليها القدماء وما غاب عنهمُ، وسمّوها بالمؤشرات البنائية المهمة التي تسهم في تماسك النسيج النصي، وكلها تُسْلِم إلى تحقيق الوحدة الموضوعية، ويبقى الفرق الأساس بين القدماء والمحدثين، أن الأخيرين أفردوا لتلكم النظريات والوسائل بابا أو كتابا خاصا بها، كموضوع قائم بحد ذاته.

– أظهرت وسائل الانسجام النصي أهمية السياق في التقليل من احتمالية التأويل التي يشطح فيها المحلل، وأهميته في التوصل إلى نوع الخطبة، ومناسبة قولها، ومعرفة موضوعها، وصلاحها لكل زمان ومكان، ولمن تحيل الأداة، وكذلك الكشف عن سبب تكرار مفردة أو جملة دون أخرى، وتخمين الكلمة المحذوفة في السياق النصي.

– أسهمت الإشارات والإيماءات اللغوية وغير اللغوية، خارج النص وداخله في إنتاج دلالات جديدة، فدخول الحجاج بلثام يغطي وجهه، ثم

نزعه عنه، يجسد صورة الحجاج في ذهن المتلقي في أسمى معاني التحدي والقوة، بعدما كسر عنصر التوقع عنده في أن يكون ضعيفا، ويمكن التخلص منه.

- اتضح من تحليل نص الخطبة أن معايير النصية كالقصدية، والإعلامية، والمقامية، والمقبولية، والتناص، تدخل في مفهوم الانسجام، ويأخذ منها حسب المقام والمقتضى، وظهر ذلك في أثناء تحليل البنى الكبرى والصغرى للنص.
- أنبأت وسائل الانسجام النصي عن خمس دلالات: أولاها الدور الذي تؤديه البنية الكلية للخطاب في الكشف عن موضوع الخطبة والكشف عن الشخصيات الأساسية التي تدور حولها الخطبة، وثانيتها دور البنية النصية الكبرى في تشكيل الدلالات الرئيسة التي تتمحور حولها الخطبة، وثالثتها أهمية البنى النصية الصغرى في اعتمادها على مبدأ التأويل الذي يقلل من تأويل المتلقي لمعنى النص، واقترابه إلى الأليق للسياق والألبق به، ورابعتها ما أسهمه الترتيب الخطابي في الإبانة عن هيئة توزيع الوحدات اللغوية، فمن خلاله يظهر التوزيع التفكيكي لتلكم الوحدات أو انتظامها كما ظهر في هذه الخطبة، وخامستها ما تلعبه العلاقات الدلالية في إبراز استمرارية الدلالات في المقاطع اللاحقة والسابقة لها.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم.

الأصمعي، ع. (1955). *الأصمعيات*. (ط5). القاهرة: دار المعارف.

بحراوي، ح. (1990). *بنية الشكل الروائي: الفضاء-الزمن-الشخصية*. (ط1). بيروت: المركز الثقافي العربي.

بحيري، س.(1997). *علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات*. (ط1). القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان.

براون، ج.، ويول، ج. (1997). *تحليل الخطاب*. (ط1). الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

برينكر، ك. (2005). *التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج*. (ط1). القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

البَكري، ع. (1971). *فصل المقال في شرح كتاب الأمثال*. (ط2). بيروت: دار الأمانة، مؤسسة الرسالة.

البلاذري، أ. (1996). *جُمل من أنساب الأشراف*. (ط1). بيروت: دار الفكر.

بوجراند، ر. (1998). *النص والخطاب والإجراء*. (ط1). القاهرة: عالم الكتب.

الجرجاني، ع. (2004). *دلائل الإعجاز*. (ط5). القاهرة: مكتبة الخانجي.

الجزري، ع. (1987). *الكامل في التاريخ*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

الحاج، ذ. (2015). *التداولية واستراتيجية التواصل*. (ط1). القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

خطابي، م. (1991). *لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب*. (ط1). بيروت: المركز الثقافي العربي.

ابن خلكان، ش. (1972). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ط1). بيروت: دار صادر.

خليل، إ. (2007). *في اللسانيات ونحو النص*. (ط1). عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

الذهبي، ش. (2004). *سير أعلام النبلاء*. (ط1). عمان: بيت الأفكار الدولية.

الرازي، م. (1981). *مفاتيح الغيب*. (ط1). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

أبو زهرة، م. (1934). *الخَطَابة: أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العَرب*. (ط1). القاهرة: مكتبة العلوم.

العبد، م. (2014). *النص والخطاب والاتصال*. (ط1). القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

ابن عبد ربه، أ. (1983). *العِقد الفريد*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد المجيد، ج. (1998). *البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عمر، أ. (2008). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. (ط1). القاهرة: عالم الكتب.

عمر، أ. (1998). *علم الدلالة*. (ط5). القاهرة: عالم الكتب.

العمري، م. (2002). *في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا*. (ط2). الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

فرج، ح. (2007). *نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري*. (ط1). القاهرة: مكتبة الآداب.

الفقي، ص. (2000). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية. (ط1). القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

القزويني، ج. (2003). *الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

القزويني، ج. (1932). *التلخيص في علوم البلاغة*. (ط2). القاهرة: دار الفكر العربي.

القيرواني، ح. (1981). *العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده*. (ط5). بيروت: دار الجيل.

كامل، أ. (2019). *الحجاج بن يوسف الثقفي: بين الطاغية ورجل الدولة*. (ط1). القاهرة: مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر.

ابن كثير، م. (2015). *البداية والنهاية*. (ط1). الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
مانغونو، د. (2008). *المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب*. (ط1). بيروت: الدار العربية للعلوم.
الماوردي، ع. (2012). *النكت والعيون: تفسير الماوردي*. (ط3). بيروت: دار الكتب العلمية.
المبرد، م. (1997). *الكامل*. (ط3). بيروت: مؤسسة الرسالة.
مداس، أ. (2009). *لسانيات النص: نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري*. (ط2). اربد: عالم الكتب الحديث.
ابن منظور، ج. (1997). *لسان العرب*. (ط1). بيروت: دار صادر.
ميلز، س. (2016). *الخطاب*. (ط)1. القاهرة: المركز القومي للترجمة البحوث والدوريات.
السعيد، ح. (2012). الانسجام والاتساق النصي المفهوم والأشكال. *مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر*، 16.
شرف الدين، ع. (1993). بين زياد بن أبيه في خطبته "البتراء" والحجاج في خطبته "أنا ابن جلا". *مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، أسيوط*، 13.
أبو شندي، ع. (2015). خطب الحجاج بن يوسف: دراسة بلاغية. *المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي*، 33(132).
مزعل، خ. (2016). مصطلحا البنية الكبرى والبنية العليا عند فان دايك: مقاربة في المفهوم والمعيار والوظيفة. *مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة*، 10(18).
مصلوح، س. (1991). نحو أجرومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية. مجلة فصول، 10(2،3).
نعامنة، ع. (2016). عناصر الانسجام النصي في خطبة البيعة لأبي بكر الصديق: دراسة نصية تحليلية. *مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت، عمادة البحث العلمي*، 22(4).

References

The Holy Quran.

Al-Asma'i, A. (1955). *Al-Asma'iyat.* (5th ed.). Cairo: Dar Al-Maaref.

Bahrawi, H. (1990). *The Structure of the Narrative Form: Space-Time-Personality*. (1st ed.). Beirut: The Arab Cultural Center.

Beheiry, S. (1997). *Linguistics of the Text: Concepts and Trends*. (1st ed.). Cairo: The Egyptian International Publishing Company - Longman.

Brown, J., & Yule, J. (1997). *Discourse Analysis*. (1st ed.). Riyadh: King Fahd National Library.

Brinker, K. (2005). Linguistic Analysis of the Text: An Introduction to Basic Concepts and Curricula. (1st ed.). Cairo: Al-Mukhtar Institute for Publishing and Distribution.

Al-Bakri, P. (1971). Chapter of the article in explaining the book of proverbs. (2nd ed.). Beirut: Dar Al-Amana, Al-Resala Foundation.

Al-Baladhuri, A. (1996). A sentence of the genealogy of the nobles. (1st ed.). Beirut: Dar Al-Fikr.

Bougrand, R. (1998). *Text, Discourse and Procedure*. (1st ed.). Cairo: World of Books.

Al-Jarjani, A. (2004). *Evidence of Miracles*. (5th ed.). Cairo: Al-Khanji Library.

Al-Jazari, A. (1987). *Al-Kamel in History*. (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Al-Hajj, L. (2015). *Deliberativeness and Communication Strategy*. (1st ed.). Cairo: Vision for Publishing and Distribution.

Khattabi, M. (1991). *Linguistics of the Text: An Introduction to the Harmony of Discourse*. (1st ed.). Beirut: The Arab Cultural Center.

Ibn Khalkan, Sh. (1972), The Deaths of Notables and the News of the Sons of Time.(1st ed.). Beirut: Dar Sader.

Khalil, I. (2007). *In Linguistics and Grammar*. (1st ed.). Amman: Dar Al Masirah for Publishing and Distribution

Al-Dhahabi, Sh. (2004). *The Biography of the Nobles' Flags.* (1st ed.). Amman: International House of Ideas.

Al-Razi, M. (1981). *Keys to the Unseen.* (1st ed.). Beirut: Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution

Abu Zahra, M. (1934). *Rhetoric: Its Origins, Its History in the Flowers of Its Era for the Arabs*. (1st ed.). Cairo: Science Library.

Al-Abed, M. (2014). *Text, Discourse and Communication.* (1st ed.). Cairo: The Modern Academy of University Books.

Ibn Abd Rabbo, A. (1983). *The Unique Contract*. (1st ed.). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Abdel-Majid, J. (1998). *Al-Badi' between Arabic Rhetoric and Textual Linguistics*. (1st ed.). Cairo: The Egyptian General Book Organization.

Omar, A. (2008). *Dictionary of the Contemporary Arabic Language.* (1st ed.). Cairo: World of Books.

Omar, A. (1998). *Semantics.* (5th ed.). Cairo: World of Books.

Al-Omari, M. (2002). *On the Rhetoric of Persuasive Discourse: A Theoretical and Applied Introduction to the Study of Arabic Rhetoric, Rhetoric in the First Century as a Model.* (2nd ed.). Casablanca: East Africa.

Farag, H. (2007). Theory of Text Science: A Systematic Vision in Building the Prose Text. (1st ed.). Cairo: Library of Arts.

El-Feki, P. (2000). *Textual Linguistics between theory and practice: An applied study on the Meccan surahs*. (1st ed.). Cairo: Dar Qubaa for Printing, Publishing and Distribution.

Al-Qazwini, J. (2003). *Clarification in the Sciences of Rhetoric: Meanings, Al-Bayan and Al-Badi'*. (1st ed.). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Qazwini, C. (1932). *Summary in the sciences of rhetoric, control and explanation of Abdul Rahman Al-Barqouqi,*. (2nd ed.). Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.

Al-Qayrawani, H. (1981). *Al-Umda fi Beauties of Poetry, Literature, and Criticism*. (5th ed.). Beirut: Dar Al-Jeel,

Kamel, A. (2019). *Al-Hajjaj Bin Youssef Al-Thaqafi: Between the tyrant and the statesman*. (1st ed.). Cairo: Yastaroun Foundation for Printing and Publishing.

Ibn Katheer, M. (2015). *The Beginning and the End.* (1st ed.). Doha: Ministry of Awqaf and Islamic Affairs.

Mangono, D. (2008). *Key Terms for Discourse Analysis*. (1st ed.). Beirut: Arab House of Science.

Al-Mawardi, A. (2012). *Jokes and Eyes: Interpretation of Al-Mawardi*. (3rd ed.). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmia

Al-Mubarrad, M. (1997). *Al-Kamil*. (3rd ed.). Beirut: Al-Resala Foundation.

Madas, A. (2009). *Linguistics of the Text: Towards a Approach to Analyzing Poetic Discourse*. (2nd ed.). Irbid: Modern Book World.

Ibn Manzur, J. (1997). *Lisan Al Arab*. (1st ed.). Beirut: Dar Sader.

Mills, S. (2016). *Al-Khattab*. (1st ed.). Cairo: The National Center for Translation, Research and periodicals

Al-Saeed, H. (2012). Textual Coherence and Conceptual Consistency and Forms. *Al-Athar Journal, Kasdi Merbah University, Algeri*16.

Sharaf al-Din, P. (1993). Between Ziyad bin Abih in his sermon "Petra" and Hajjaj in his sermon "I am Ibn Jala". *Journal of the College of Arabic Language, Al-Azhar University, Assiu* , 13.

Abu Shendi, A. (2015). Speeches of Al-Hajjaj Bin Youssef: A Rhetorical Study. *The Arab Journal of Human Sciences, Kuwait University, Scientific Publication Council*, 33(132).

Mazal, K. (2016). Van Dyck's terms of the grand structure and the superstructure: an approach in concept, criterion and function. *Journal of the College of Education for Girls for Human Sciences, University of Kufa*, 10(18).

Maslouh, S. (1991). Towards an Agronomism of the poetic text: A study of a pre-Islamic poem. *Fosoul Journal*, 10(2,3).

Naamneh, A. (2016), Elements of Textual Harmony in the Sermon of Allegiance to Abu Bakr Al-Siddiq: An Analytical Textual Study. *Al-Manara Journal for Research and Studies, Al al-Bayt University, Deanship of Scientific Research*, 22(4).